الفصل الأول

قصة آدم عليه السلام
وأول دعاء بشرى

المبحث الأول

آدم . . هو الأب الأول للجنس البشري، واختلفوا[1] لمَ سُمي آدم على قولين: أحدهما أنه خلق من أديم الأرض وهو وجهها، قاله ابن مسعود وزيد بن ثابت ورواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، والثاني أنه مشتق من الأدمة وهي سُمرة اللون، رواه مجاهد عن ابن عباس، وذكر أبو اسحاق الثعلبي أن كلمة «آدم» مأخوذة من اللفظة العبرية وهي «أداما» ومعناها الأرض للدلالة على الأصل الذي خلق منه وهو الطين. وهذا كله يفيد معنى حُمرة اللون كما يشير إلى الأصل الذي خُلق منه آدم، وآدم اسم عربي وليس بعجمي؛ ذكره أبو منصور بن الجواليقي في كتاب المعرب قال[2]: أسماء الأنبياء كلها أعجمية إلا أربعة وهي آدم وصالح وشعيب ومحمد ﷺ.

وقد ذكره الله تعالى في القرآن الكريم في خمسة وعشرين موضعًا[3]، وأول من قصّ الله تعالى علينا قصصهم في القرآن الكريم من الأنبياء «آدم» أبو البشر

---

(١) في قصة آدم. انظر الكسائي ٢٣، والثعلبي٢٤، وتاريخ الطبري ١ / ٨٦، والبداية والنهاية ١ / ٦٨، وتهذيب ابن عساكر ٢ / ٣٤١ (ط: بيروت).

(٢) المعرب : ١٣.

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، وقد ذُكرت قصته في سورة البقرة، والأعراف والإسراء والكهف، وفي سورة طه باسمه وصفته، وفي سورة الحجر، وفي سورة ص بصفته فقط، وكلها بمعنى واحد ولكن بعبارات مختلفة اللفظ فقط، وذلك مما يدل على إعجاز القرآن الكريم.

سر التكرار وفوائده في قصص الأنبياء في القرآن الكريم:

قال الرافعي[1]: وههنا معنى دقيق في التحدي: ما تظن العرب إلا وقد بلغوا منه عجبا؛ وهو التكرار الذي يجيء في بعض آيات القرآن، فتختلف في طرق الأداء وأصل المعنى واحد في العبارات المختلفة كالذي يكون في بعض قصصه لتوكيد الزجر والوعيد وبسط الموعظة وتثبيت الحجة ونحوها.

وقال الخطابي[2]: ومما يلفت النظر في قصص الأنبياء هو أن معاني القصة ترد مكررة في مواضع شتى من سور القرآن، وهذا التكرار لا يتناول القصة كلها، وإنما هو تكرار لبعض حلقاتها، وسبب ذلك أن المعاني الأدبية والفنية هي مقصود القرآن من القصص، وهي الأمور التي يبحث عنها، وهي الأمور التي تجعل الحادثة الواحدة تصوّر بصور مختلفة، ويُعبر عنها بعبارات متفاوتة حسب الظروف والمناسبات».

فتارة يجيء أسلوبه في موطن عن طريق الإطناب، وفي مواطن أخرى عن طريق الإيجاز مع اختلاف الفواصل من موطن لآخر ومع التنوع بالعبارات البليغة والألفاظ العذبة ووضوحها وحُسْن المعرض، وتكرار الكلام لكل ما يفيده التكرار وتوكيداً ومبالغةوإبانة وتحقيقًا ونحوها؛ ثم استعمال الترادف في اللفظ والمعنى، ومقابلة الأضداد غيرها، مما هو في نفسه تكرار آخر للمحسنات اللفظية وتحسين للتكرار المعنوي.

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي: ص ٢٢٠.

(٢) بيان إعجاز القرآن للخطابي: ص ٢٨.

هذا التكرار البليغ برهان على أن القرآن وحيًا إلهيًا يستشعره كل مطلع على أسرار فصاحة اللغة العربية، فالشاعر أو الكاتب، مهما أوتى من البلاغة والفصاحة، إذا كرر قولا لا يكون كلامه الثانى بدرجة الأول فى الفصاحة بل تظهر عليه علامات الضعف والتكلّف والتفكك، أما أسلوب القرآن فقد بلغ الغاية فى الفصاحة فى جميع ما كرّر من قصص وسواها.

وقد خفى معنى هذا التكرار على بعض الملحدة وأشباههم ومن لانفاذ لهم فى الأسرار العربية ومقاصد الخطاب والتأتى بالسياسة البيانية إلى هذه المقاصد، فزعموا به المزاعم السخيفة، وأحالوه إلى النقص والوهن، وقالوا إن هذا التكرار ضعف وضيق من قوة سعة، وهو ـ أخزاهم الله ـ كان أروع وأبلغ وأسرى عند الفصحاء من أهل اللغة والمتصرفين فيها، لو أعجزهم أن يجيئوا بمثله ما أعجزهم أن يعيبوه لو كان عيبًا!

ولابد من الإشارة إلى أن فى التكرار أثرًا مملوسًا فى التأثير على الجماعات والأفراد فإذا تكرر الشيء رسخ فى الأذهان رسوخًا ينتهى بها إلى قبوله، وهذه حقيقة ساطعة.

إذن فما هى الغاية من أيراد قصص الأنبياء فى القرآن على هذا النحو؟

يبين لنا الحق تبارك وتعالى الغاية من إيراده قصص الأنبياء عليهم السلام على هذا النحو فى القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[1]. ويخاطب الله رسوله محمدًا ﷺ بقوله: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾[2].

---

(١) يوسف: ١١١.

(٢) هود: ١٢٠.

فجملة: ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ﴾ إشارة إلى أن القرآن أتى بوقائع صحيحة من التاريخ ليبين لأتباع الأديان القول الفصل فى القضايا التى اختلفوا فيها حول حقيقة الأنبياء ورسالتهم والدفاع عما ألصق ببعضهم من تهم وأباطيل.

ذكر قصة خَلْق آدم عليه السلام وأمر الملائكة بالسجود له:

قال أحمد بن حنبل[1] بإسناده عن أبى موسى عن النبى ﷺ قال: «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنوه على قدر ذلك .. جاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك، والخبيث والطيب، والسهل والحزن، وبين ذلك قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح، ولهذا اختلفت ألوان بنيه. وقال أحمد بن حنبل[2] بإسناده عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة» فيه خلق، آدم وفيه دخل الجنة، وفيه أُخرج منها، ولاتقوم الساعة إلا فى يوم الجمعة، انفرد بإخراجه مسلم، وقد روى فيه زيادات عن طريق أبى لبابة بن عبد المنذر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «سيد الأيام يوم الجمعة، وذكره، وفيه ساعة لايسأل العبد فيها الله شيئاً إلا أعطاه إياه الحديث... وفيه توفى آدم». وروى ابن سعد عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الناس ولد آدم، وآدم من التراب»[3].

وقد أثبت العلم الحديث هذه الحقيقة، فقد وُجد أن الجسم الإنسانى يتكون من سلالة خاصة من عناصر القشرة الأرضية بنسب خاصة. قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾﴾[4] وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾﴾[5].

---

(١) مسند أحمد: ٤/ ٤٠٠، ٤٠٦، والترمذى: تفسيره سورة (٢)، وأورده الثعلبى: ٢٧، والطبرى فى تاريخه: ١/ ٨٩، وطبقات ابن سعد: ١/ ٢٦، وتفسير الطبرى: ١/ ٤٨١.

(٢) مسند أحمد: ٢/ ٢٧٢، ٣٢٧، ٤١٨، ومسلم (جمعة: ١٧، ٨).

(٣) طبقات ابن سعد: ١/ ٢٥.

(٤) ص: ٧١.

(٥) الحجر: ٢٨.

والطين كما هو معروف هو التراب المختلط بالماء، والمراد بـ (الحمأ المسنون) هو الطين الأسود المتغير الرائحة، ويقول البيضاوى فى تفسيره: إنه الطين المتغير المسوّد من طول مجاورة الماء له.

ويقول العلم الحديث[1]: إن نشأة الحياة كانت من الطين الآسن وهو طين المستنقعات الذى تتصاعد منه الغازات الكريهة الرائحة مثل غاز الميثان (CH_4)، وغاز كبريتور الهيدورچين (H_3S) وغاز النوشادر (NH_3)، وترى صورة ضخمة فى قاعدة المتحف الطبيعى بلندن تصوّر كيف تجمعت هذه الغازات المنتنة من الحمأ المسنون لتكوّن الأحماض الأمينية. ومنها تكونت البروتينات وأهمها الحامض النووى الذى به سر الحياة. قال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾[2].

ولله در أبى العلاء المعرى حيث قال:

خفّف الوطء واتئد يا حادى ... إنما أنت سائر بفؤادى

خفّف الوطء ما أظن أديم ... الأرض إلا من هذه الأجساد

سوّى الله آدم من طين من حمأ مسنون ـ متغير ـ حتى إذا صار ذلك الطين صلصالاً ـ يصلّ إذا ضُرب ـ كالفخار، نفخ فيه من روحه فإذا هو إنسان حى من لحم ودم وعظم وعصب يتحرك ويدرك بإرادته ويفكر إذ أودعه الله سرًا من أعظم أسرار الحياة وهو العقل. ثم أمر الله الملائكة بالسجود لآدم، سجود تكريم بالطبع لاسجود عبادة، لأن الله لا يأمر أحدًا أن يتوجه بالعبادة إلى سواه، وبعبارة أخرى كان ذلك احتفالاً بتمام تكوين آدم بشرًا سويا. فسجد الملائكة كلهم أجمعون امتثالاً لأمر الله تعالى.

---

(١) كتاب من دلائل الإعجاز فى القرآن الكريم والسُّنة النبوية. تأليف د. موسى الخطيب. ص ٦١، ٦٢.

(٢) طه: ٥٥.

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[1] ففي هذه الآية ثلاث مكرمات خصّ الله بها آدم:

أولا: خَلَقَه بيده.

ثانياً: نفخه فيه من روحه.

ثالثاً: أمره الملائكة بالسجود له.

امتناع إبليس اللعين ومخالفته أمر الله بالسجود لآدم تكبراً وما كان من أمره:

سجد الملائكة كلهم لآدم ـ امتثالاً لأمر الله ـ إلا إبليس كان من الجن، فخانه طبعه وجبلته فاستنكف عن السجود لآدم، وخاصم ربه عزّ وجل فيه، وادعى أنه خيرٌ من آدم، فهو قد خلق من نار، بينما آدم قد خلق من طين والنار في زعمه أفضل من الطين، وأبدى غاية التكبر، فكفر بذلك وطرده الله عن باب رحمته، ومحل أنسه، وحضرة قدسه.

طرده الله من الجنة، ولعنه لعنة دائمة إلى يوم القيامة بسبب كبريائه.

﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ[2] مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ ﴾[3].

---

(١) الحجر: ٢٨، ٢٩.

(٢) إبليس: اسم أعجمي، وقال أبو عبيدة: إنه عربي مشتق من الإبلاس وهو الإبعاد عن الخير أواليأس عن رحمة الله.

(٣) ص: ٧٣ ـ ٧٨.

أمر جازم، وحتم لازم، فالعصيان نتيجته الحرمان، وعاقبته الطرد عن رحمة الرحمن ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ وليس هذا فحسب ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾﴾ وبعد هذا ستلقى الجزاء الموائم والعقاب الحتم.

فإبليس مخلوق عاص متمرد، وآدم طائع مُمْثل، فيه طبيعة البشر وخليقة الإنسان من السهو والنسيان، قابل للطاعة والمعصية فيه الأضداد والإعداد للتعلم، تارة يفعل وتارة يسهو، وتارة يتذكر ويتوب، فيه الخلائق كلها وهو غير عارف قدر نفسه.

ظهرت طوية إبليس وبان حقده، فكان سر الوجود الدنيوى به مملكة مدبرة، وخليقة مسيّرة للغاية معلومة، فأهل الجنة للجنة وأهل النار للنار.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾[1].

استجاب له ربه ليكمل رسالته، وما رسالته إلا الشر والغواية، والضلالة والعماية، إذ سيبدأ الصراع الحقيقى، والعناء المستمر بينه وبين أبناء وأحفاد ذلك المخلوق آدم عليه السلام.

فيتمادى اللعين فى الغى ويمعن فى الضلال والإضلال.

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾[2].

وفى سورة الحجر: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾[3].

---

(١) ص: ٧٨ ـ ٨١.

(٢) ص: ٨٢ ـ ٨٣.

(٣) الحجر: ٣٩ ـ ٤٠.

إقرار بالعجز أمام المقدرة الإلهية، ونطق صدق بما كان وما سيكون، واعتراف بالقدر، وأن الإله القدير هو المسيطر وهو الذى يهب الهدى والضلال ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ وجعلتنى على هذا المنوال من الخليقة، وقدّرت على أن أكون هكذا كما خلقتنى لأزيِّن لهم فى الأرض بكل زينة ممكنة، وأوسوس لهم بكل قدر مستطاع، فهذا قدرى والمرسوم من قسمى، فلأنتقمن من هذا المخلوق الذى كان سر شقائى وأصل بلائى، وسيكون عملى إغواء من أستطيع إغواءه، وهم الكثرة الكاثرة، لا يفلت منى إلا عبادك منهم المخلصين لديك المقَّربين عندك.

فيُجاب بالقوة العالية، والحكمة النافذة، والسيطرة الشاملة.

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾﴾[1].

وتكون كلمة الرحمن الختام ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ فإنهم غافلون لاهون، عميت بصيرتهم عن الحق والخير وغلبت عليهم نفوسهم، ووسوس إليهم الشيطان فزّين لهم الشر، وقضت عليهم شقوتهم فجزاؤهم ومن اتّبعوا جهنم وبئس المصير، وهو جزاء وافر كامل.

أما المخلصون من عباد الله المؤمنين فليس لإبليس عليهم سُلطة ولا قدرة لأنهم توكلوا على ربهم، وكفى بالله نصيراً.

وإلى هنا يلعب القدر دوره، وينفذ المحتوم، وتجرى الأمور على قدرها، وتنفذ إرادة الرحمن على مداها.

خلق آدم لاستخلاف الله فى الأرض

ثم بين الله السبب الى من أجله كان خَلقْ آدم، وبدأ فأخبر ملائكته أنه سيجعل آدم خليفة له فى الأرض، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ

(١) الحجر: ٤٢ ـ ٤٣.

فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أى خالق فى الأرض ومتخذ فيها خليفة يخلفنى فى تنفيذ أحكامى فيها، وعمارة الكون وهو آدم، أو قومًا يخلف بعضهم بعضا قرنا بعد قرن، وجيلا بعد جيل ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ أى قالوا على سبيل التعجب والاستعلام: كيف تستخلف هؤلاء، وفيهم من يفسد فى الأرض بالمعاصى، ويريق الدماء بالبغى والاعتداء!! ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ أى ننزهك عما لا يليق بك متلبسين بحمدك ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ أى نعظّم أمرك ونطهّر ذكرك مما نسبه إليك الملحدون ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ أى أعلم من المصالح ما هو خفى عليكم، ولى حكمة فى خلق الخليفة لا تعلمونها، أى سيوجد منهم الأنبياء والمرسلون والصديقون والشهداء. ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ أى أسماء المسمّيات كلها، ليظهر فضل آدم على الملائكة، قال ابن عباس: علمّه أسماء الخلق والقرى والمدن والجبال وأسماء الطيور والأشجار وما كان وما يكون، وكل نسمة الله خالقها إلى يوم القيامة. ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ﴾ أى عرض المسميات على الملائكة وسألهم على سبيل التبكيت ﴿فَقَالَ أَنْبِئُونِي﴾ أى أخبرونى ﴿بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ﴾ أى بأسماء هذه المخلوقات التى ترونها ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أى فى زعمكم أنكم أحق بالخلافة ممن استخلفته، والحاصل أن الله تعالى أظهر فضل آدم على الملائكة، بتعليمه ما لم تعلمه الملائكة، وخصّه بالمعرفة التامة دونهم، من معرفة الأسماء والأشياء، والأجناس واللغات، ولهذا اعترفوا بالعجز والقصور ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا﴾ أى ننزّهك يا الله عن النقص ونحن لا علم لنا إلا ما علمتنا إياه ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ﴾ أى الذى لا تخفى عليه خافية ﴿الْحَكِيمُ﴾ الذى لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ﴾ أى أعلمهم بالأسماء التى عجزوا عن علمها، واعترفوا بتقاصر هممهم عن بلوغ مرتبتها ﴿فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ﴾ أى أخبرهم بكل الأشياء، وسمّى كل شىء باسمه، وذكر حكمته التى خُلق لها ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أى قال تعالى للملائكة: ألم أنبئكم بأنى أعلم ما غاب

في السموات والأرض عنكم ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ أى ما تظهرون ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ أى ما تسرون من دعواكم أن الله لا يخلق خلقًا أفضل منكم. قال السدى: لما قال الله إنى جاعل فى الأرض خليفة، قالت الملائكة فيما بينهم: ليخلق ربنا ما يشاء فلن يخلق خلقًا أفضل ولا أكرم عليه منا وإن كان خيرًا منا فنحن أعلم منه لأنا خُلقنا قبله، ورأينا ما لم يره، فلما أُعجبوا بعلمهم وعبادتهم فضّل الله عليهم آدم بالعلم فعلّمه الأسماء كلها، وهذا قول الحسن وقتادة وعامة العلماء[1].

الفوائد:

الأولى: قال بعض العلماء في إخبار الله تعالى للملائكة عن خلق آدم واستخلافه فى الأرض، تعليم لعباده المشاورة فى أمورهم قبل أن يُقْدموا عليها.

الثانية: الحكمة من جعل آدم عليه الصلام خليفة هى الرحمة بالعباد لا لافتقار الله، فإن لله غنى عن العالمين، ولأن العباد لا طاقة لهم على تلقى الأوامر والنواهى من الله بلا واسطة، ولا بواسطة مَلَك، فمن رحمته ولطفه وإحسانه إرسال الرسل من البشر.

الثالثة: قال الحافظ ابن كثير: وقول الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ الآية، ليس هذا على وجه الاعتراض على الله، ولا على وجه الحسد لبنى آدم، وإنما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة فى ذلك، يقولون: ما الحكمة فى خلق هؤلاء مع أن منهم من يفسد فى الأرض؟[2]

وقال فى التسهيل: وإنما علمت الملائكة أن بنى آدم يفسدون بإعلام الله إياهم بذلك، وقيل: كان فى الأرض جن فأفسدوا فبعث الله إليهم ملائكة فقتلتهم، فقاس الملائكة بنى آدم عليهم[3].

---

(١) تاريخ الطبرى: ١/٩٩.

(٢) مختصر ابن كثير جـ ١ ص: ٤٩.

(٣) التسهيل لابن جزى: جـ ١ ص: ٤٣.

الرابعة: سُئل الشعبي: هل لإبليس زوجه؟ قال: ذلك عرس لم أشهده؟ قال: ثم قرأت قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي﴾ فعلمت أنه لا يكون له ذرية إلا من زوجه، فقلت: نعم[1].

خَلْق زوج آدم:

وتوحي القصة أن الله خلق زوج آدم من نفس العناصر والمكونات التى خلق منها آدم لقوله جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[2] وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾[3]. وقوله: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[4].

وهذا المعنى يختلف اختلافًا كليًا عم يعتقده اليهود والنصارى وغيرهم ممن لفّ لفّهم، من أن زوج آدم قد خُلِقت من أحد أضلاعه المكونة لقفصه الصدرى. فقد جاء فى العهد القديم ما نصه: (فأوقع الرب الإله سباتا على آدم فنام، فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما، وبنى الرب الإله الضلع التى أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم)[5].

وقد أخذ بعض المسلمين بهذه العقيدة بسلامة نية من غير دراسة أو تفكير[6].

* * *

---

(١) محاسن التأويل: جـ٢ ص: ١٠٤.

(٢) النساء: ١ (٣) الأعراف: ١٨٩.

(٤) الزمر: ٦ (٥) تكوين ٢، ٢١، ٢٢.

(٦) عرض الطبرى أقوالا لمجاهد وقتادة والسدى يذكر منها ما قالته اليهود، وروى بسنده كذلك عن ابن اسحق قال: القى على آدم السنة فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم عن عبد الله بن العباس وغيره: ثم أخذ ضلعا من أضلاعه من شقه الأيسر ولأم مكانه وآدم نائم لم يهب من نومته حتى خلق الله تبارك وتعالى من ضلعه تلك زوجته حواء فسوّاها امرأة ليسكن إليها، فلما كشفت عنه السنة وهبّ من نومته رآها إلى جنبه، فقال فيما يزعمون والله أعلم لحمى ودمى وزوجتى فسكن إليها (جامع البيان: ج ٤ ص ١٥٠)، وممن تأثر بهذه العقيدة اليهودية السيد محمد صديق خان بهادر بها ملك مملكة بهوپال قال: وكان خلق حواء من ضلعه الأيسر، مجهة اليمين أضلاعه ثمانى عشرة وجهة اليسار أضلاعه سبع عشرة (حسن الأسوة ص ٥)، وذكر هذا الرأى فى روح المعانى (ج١ ص ١٩٦).

وعلل القائلون بهذه العقيدة بأن الذكر ينقص ضلعًا عن الأنثى مع أن الثابت فى علم التشريح أن القفص الصدرى يتكون من (٢٤) ضلعًا، منها اثنى عشر ضلعًا فى الجهة اليمنى، واثنى عشر ضلعًا فى الجهة اليسرى، ولا يختلف هذا التركيب فى الجنسين[١].

فالصحيح ما قدمنا وهو أن زوج آدم خُلقت من نفس العناصر التى خُلق منها آدم، وإن نفسها نفس إنسانية، فهى من الجنس البشرى وليست من جنس الملائكة أو الجن أو الحيوانات، فالله خلق زوج آدم من نفس نوع آدم كما خلق لنا من أنفسنا أزواجًا، وهو قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النحل: ٧٢] وقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: ٢١] وليس معنى هذا أن الله خلق من ضلوعنا أزواجًا.

ومثل ما تقدم قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] أى من الجنس البشرى من بنى آدم؛ وليس من جنس الملائكة، قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾ [الإسراء: ٩٥].

أما الحديث الذى جاء فيه: استوصوا بالنساء فإن المرأة خُلقت من ضلع أعوج، وإن أعوج ما فى الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء[٢]، إن صح[٣] فإنما يدل على معنى مجازى، وهو إن

---

(١) ومما يجدر ذكره أن الله تعالى لم يخلق هذا العدد من الضلوع عبثًا فكل ضلع منها لازم للقفص الصدرى، وليس عنه غناء، حتى الضلع الثانى عشر (الأيمن والأيسر) فهو على قصره له خطره فى بناء الصدر لأنه موضع اتصال لعدد كبير من العضلات والأربطة الأساسية فى بناء الجسم، وشأنه شأن باقى الأعضاء، وإنه لمن نعم الله أن جعل هذا الضلع قصيرًا لأسباب حيوية هامة ليس هنا مقام تفصيلها.

(٢) بخ ح ٣١١٦ ك. ٦ب١ وقال الكرمانى: أو بيان أنها لا تقبل الإقامة لأن الأصل فى التقويم هو أعلى الضلع لا أسفله، وهو غاية فى الاعوجاج. وقال البيضاوى: أى خُلقن من أصل معوج كالضلع مثلا، فلا ينهيأ الانتفاع بهن إلا بالصبر على اعوجاجهن (البخارى بشرح الكرمانى جـ١٢ ص ٢٢٨) وقال ابن حجر: أو الإشارة إلى أنها لا تقبل التقويم كما أن الضلع لا يقبله (فتح البارى: ج ٦ ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤).

(٣) يُراجع سند هذا الحديث فقد لاحظنا أن فيه أبا كريب المتوفى سنة ٢٤٨هـ، قال أبو حاتم: صدوق، وقال النسائى: لا بأس به، والحديث معنعن من حسين بن على الكوفى عن زائدة عن ميسرة عن أبى حازم عن أبى هريرة رضى الله عنه.

المرأة قد خُلقت أنثى لها صفاتها الخَلقية والعقلية والنفسية الخاصة بأنوثتها، والتى قد يعتبرها البعض شذوذًا فيها أو انحرافًا، إذا حاول مقارنتها بالصفات المميزة للرجولة، فإذا حاول أن يقيم ما يتوهمه فيها من اعوجاج فقدها، وفقد ما يحتاج من عاطفة ورقة وضعف وغير ذلك من مميزات المرأة الطبيعية، فهى كالضلع الذى وضعه الله على صورة خاصة فى القفص الصدرى، فإذا حاول مرؤ أن يقيم ضلعه أفقده وظيفته، وكان هذا وبالًا عليه فقد خلقه الله ملائمًا للقوام الجسمانى وللوظائف الحيوية المنوطة به.

استدراك

إن الله تعالى قال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [الأعراف: ١٨٩] هوآدم عليه السلام ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أى وخلق منها حواء ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ أى ليطمئن إليها ويستأنس بها. وقال ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١] هذه الجملة الكريمة محتملة لأن يكون الله قد أخذ ضلعًا من أضلاع آدم وخلق من ذلك الضلع حواء، وقد قال بذلك كثير من العلماء، وهى بعينها عبارة التكوين[1].. وكانت وحدتهما فى الخلق، ووحدتهما فى عمارة الكون سببًا فى حاجة كل منهما للآخر.. فكل منهما يكمّل صاحبة ولا غناء لأحدهما عن الآخر بإطلاق.

ومن الجائز أن يكون الله خلقها كما خلق آدم، وأن يكون قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أى من جنسها وعلى صورتها، وهو ما سبق أن بيناه، وحينئذ تكون المادة التى أُخذت منها المرأة غير متعرض لها، والله أعلم بالصواب.

---

(١) فأوقع الإله الرب سباتا على آدم فأخذوا واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما (٢٢) وبنى الرب الإله الضلع التى أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم (٢٣) فقال آدم هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى تدعى امرأة لأنها من امرئ أخذت ـ من الإصحاح الثانى ـ تكوين.

سُكنى آدم وزوجه الجنة

وخروجهما منها بسبب إغواء إبليس لهما

أمر الله آدم أن يسكن الجنة بعد أن خلق له حواء يسكن إليها، وأباح لهما كل شيء في الجنة إلا شجرة عُينها لهما، ولكن إبليس وسوس لهما بالأكل منها وإغواهما بأنواع المغريات، وقال لهما: إن ربكما لم ينهكما عن الأكل من هذه الشجرة إلا كراهية أن تكونا ملكين أو تصبحا من المخلدين في الجنة، وقال لآدم: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠]، وحلف لهما بالله على ذلك حتى خدعهما وقد يُخدع المؤمن بالله ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ [الأعراف: ٢١] قال الألوسي: وإنما عبّر بصيغة المفاعلة للمبالغة لأن من يبارى أحداً في فعل يجدّ فيه ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف: ٢١] أي خدعهما بما غرهما به من القسم بالله قال ابن عباس: غرّهما باليمين وكان آدم يظن أنه لا يحلف أحد بالله كاذبًا، فغرّهما بوسوسته وقسمه لهما. ولم يزل يفتله في الذروه والغارب ويمنّيه معسول الأماني، ويرفؤه بالقول اللين، حتى نسي آدم أنه عدوه الذي أبى السجود له، وأن الله حذّره منه أشد الحذر بقوله ﴿إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾ [طه: ١١٧] فأكل آدم وحواء من الشجرة ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ [طه: ١٢٠، ١٢١] قال الكلبي: تهافت عنهما لباسهما فأبصر كل منهما عورة صاحبه فاستحيا وأخذا وشرعا يلصقان ورقة على ورقة ليستترا به بعد أن كانت كسوتهما من حلل الجنة.

وقال القرطبي: أي جعلا يقطعان الورق ويلزقانه ليستترا به ومنه خصف النعل[1]، وقال وهب بن منبه: كان لباس آدم وحواء نورًا على فروجهما لا يرى هذا عورة هذه، ولا هذه عورة هذا فلما أصابا الخطيئة بدت لهما سوءاتهما[2] وعاتب الله آدم على مخالفته أمره والأكل من الشجرة، روى أنه تعالى قال لآدم:

---

(١) القرطبي: ٧/ ١٨١.

(٢) الطبري: ١٢/ ٣٥٥.

ألم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة؟ فقال: بلى وعزتك ولكن ما ظننت أن أحداً من خلقك يحلف بك كاذبًا قال: فوعزتي لاهبطنك إلى الأرض ثم لا تنال العيش إلا كدًا[1].

فندم آدم وأخذ يعتذر، فأهبط آدم وحواء من الجنة إلى الأرض وطرد إبليس قائلاً: ﴿اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٦، ٣٧] وهداه واجتباه وبقي في الأرض هو وبنوه الذين أتى بهم من حواء في الأرض. اقرءوا قوله تعالى:

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾[2].

وفي سورة الأعراف: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾[3].

---

(١) البحر: ٤/ ٢٨١.

(٢) البقرة: ٣٥ ـ ٣٨.

(٣) الأعراف: ١٩ ـ ٢٥.

ذكر نبوة آدم عليه السلام:

روى الشوكانى فى تفسيره ما أخرجه أبو الشيخ وابن مردويه من طريق أبى ذر رضى الله عنه قال: قلت يا رسول الله: آدم نبيًا كان؟ قال: نعم كان نبيًا ورسولاً، كلمّه الله وقال له: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾[1].

وفى رواية ابن أبى شيبة والطبرانى عنه: «قلت يا رسول الله: من أول الأنبياء؟ قال: آدم، قلت: نبى؟ قال: نعم، ثم من؟ قال: نوح وبينهما عشرة آباء».

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾[2]، وقال تعالى فى سورة طه: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾[3].

والاجتباء هو الإصطفاء والإختيار للرسالة. وروى مجاهد[4] عن ابن عباس قال: أنزل عليه إحدى وعشرين[5] صحيفة أملاها عليه جبريل، وكتبها آدم بخطه بالسريانية، وقال وفرض عليه فى اليوم والليلة خمسين ركعة، وحرم عليه الميتة والدم ولحم الخنزير والبغى والظلم والغدر والكذب والزنا، وذكر أبو جعفر الطبرى[6] أن أول ما نزل عليه حروف المعجم فى إحدى وعشرين ورقة، وهو أول كتاب فى الدنيا.

أين توجد الجنة التى سكنها آدم وزوجه؟

اختلف العلماء فى الجنة التى أمر الله آدم وحواء أن يسكناها .. هل هى دار الثواب؟ أم هى بستان فى الدنيا؟ فذهب الجمهور إلى أنها دار الثواب، وشاهدهم

---

(١) البقرة: ٣٥.

(٢) الشورى: ٥١.

(٣) طه: ١٢٢.

(٤) قارن بالكسائى: ٦٩.

(٥) فى الكسائى من حديث كعب: اثنتين وعشرين صحيفة.

(٦) تاريخ الطبرى: ١/ ١٥٢.

على ذلك اقترانها بأداة التعريف (ال) وهى إذا اقترنت بها فقيل (الجنة) انصرفت إلى المعهودة فى لسان الشرع، وهى دار الثواب والخلود. وإذا تتبعنا قصة آدم فى جميع آى الذكر الحكيم لوجدنا الجنة التى سكنها آدم مقترنة بأداة التعريف، فتكون (دار الثواب) وفقا لعرف القرآن. أما جنة الدنيا فتُذكر دائما منكرة، أى بدون (أل)، ومثال ذلك قوله تعالى ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾[1]، وقوله تعالى ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ﴾[2].

وذهب أبو القاسم البلخى وأبو مسلم الأصفانى وبعض المتصوفة والمعتزله وغيرهم إلى أن هذه الجنة كانت فى الأرض (بستان)، ولكونها حديقة معينة فى الدنيا اقتربت (بآل) للإشارة إليها، وقد جاء فى القرآن الكريم اقتران احدى جنات الدنيا (بال) لكونها معيّنه، وذلك فى قوله تعالى فى سورة القلم ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾﴾[3]. فقد كانت هذه الجنة بأرض «صوران» لرجل كريم كثير الإحسان منها على المساكين، فلما مات شحَّ أولاده عليهم، وتعاهدوا على حرمانهم، فعاقبهم بالله بالحرمان من ثمرها. قال تعالى ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾[4].

واستدل أصحاب الرأى الثانى بأدلة عديدة نذكرها فيمايلى:

١- أن خَلقَ آدم كان فى الأرض ومن ترابها بالإجماع ولم يذكر فى قصته أنه رُفع إلى السماء حيث جنة الجزاء ولو وقع لذكره لأنه أحسن النعم عليه فيكون أولى بالذكر من سواه.

---

(١) البقرة: ٢٦٥.

(٢) الكهف: ٣٢.

(٣) القلم: ١٧، ١٨.

(٤) القلم: ١٩، ٢٠ فطاف عليهم: أحاط بها نازلا عليها. (طائف): بلاء (نار محرقة)، (كالصريم): كالليل الأسود (محترقة سوداء كالليل).

٢ـ أن إبليس وسوس لآدم وأغواه، فإذا كان آدم في دار الخلد والثواب وقت وسوسة الشيطان له، فكيف وصل إليه فيها وهي في السماء، وكما نعلم فقد أهبط إبليس منها، ومُنع من دخولها وجُعل مذموما مدحوراً.

٣ـ أنها لو كانت دار الخلد والثواب لما حدث فيها من ابليس ما حدث، من اللغو والكذب، وحمل آدم على الإثم، ماحكاه عنه في القرآن ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾[1]، ولما قال ﴿نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾[2]، ولما سمع فيها آدم شيئا من ذلك لقوله تعالى ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾[3] وقوله ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾﴾[4] وقوله ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾﴾[5].

٤ـ أنها لو كانت دار الخُلْد والثواب لما كُلِّف فيها آدم بعدم الأكل من الشجرة، لأنها ليست دار تكليف ولكنها دار جزاء.

٥ـ أن آدم قد عصى في تلك الجنة فوجب أن تكون بستانا في الدنيا، ولاتكون دار الخُلْد والثواب، لأن دار الخُلْد والثواب لايُعصى الله فيها، فهي دار جزاء للصالحين، ودار حمد وشكر وبهجة.

٦ـ أن دار الخُلْد والثواب لايدخلهما كافر بالنص والإجماع، وحيث أن إبليس قد دَخلها لاغواء آدم وابليس كافر حينئذ، فلذا يجب أن تكون بستانا في الدنيا، ولاتكون دار الخُلْد والثواب.

---

(١) طه: ١٢٠.

(٢) الأعراف: ٢٠.

(٣) الطور: ٢٣.

(٤) النبأ: ٣٥.

(٥) الواقعة: ٢٥، ٢٦.

٧ـ لو كانت كذلك لما أخرج منها آدم وحواء، لقوله تعالى ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾[1]، ولما انقطع منها، لكنه انقطع بخروجهما فدلّ ذلك على أنها لم تكن جنو الخُلْد ودار الثواب.

ولايجوز فى حكمته تعالى أن يبتدئ الخلق حياتهم فى جنة يخلّدون فيها دون تكليف.

٨ـ ورد فى سفر التكوين الإصحاح الثانى مايفيد أن جنة آدم كانت فى الأرض.

ومما يرجّح أنها كانت بستانا فى الدنيا، أن الله، قبل أن يخلق آدم قال للملائكته ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[2] وهذا يقتضى أن يخلقه الله ويُسكنه فى مكان خلافته، وأن ينشأ ويعيش فيها، أما أن يسكنه فى جنة الخُلْد والثواب بعيداً عن خلافته، فليست له حكمة ظاهرة. كما أن افتراض كونها جنة الخُلْد والثواب يقتضى أن الله عاقبه بالإهباط منها إلى أرض الضياع بارتكابه زلّة صغيرة، كما عاقب إبليس علر كفره بإهباطه منها، فسوّى بينه وبين إبليس فى العقاب، مع اختلاف وتباين الذنب الحادث من كلٍ منهما فلهذا وجب أن تكون الجنو التى سكنها آدم وعصى الله فيها هى بستان فى أرض خلافته.

وقد ذهب بعض أصحاب هذا الرأى إلى تعيين مكانها فمنهم من قال: أنها كانت بالشام، ومنهم من قال: كانت بين فارس وكرمان.

ثم قال الرازى فى ختام كلامه فى هذا المقام، ووافقه الألوسى «الكل ممكن، والأدلة النقليه ضعيفة ومتعارضة فوجب التوقف وترك القطع، أى مادامت الأدلة متعارضة، فالأحوط والأسلم الكف عن تعيينها وعن القطع به، والله أعلم بالصواب.

---

(١) الحجر: ٤٨.

(٢) البقرة: ٣٠.

فإن قيل فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾﴾[1] وقد جاع وعرى، فالجواب: أنه ماجاع وعرى فى الجنة، وإنما كان ذلك فى الدنيا، والظمأ هو العطش، ولاتضحى أى تبرز للشمس، والجنة ليس فيها شمس فيؤذيه حرها. فإن قيل فهما إثنان، فهلا قال: ألا تجوعا، قلنا: غلب المذكر على المؤنث، لأن نعت آدم كان أكثر، وكذا قوله فتشقى؛ كان عليه أن يقول فتشقيا.

فإن قيل فما معنى قوله: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾[2] قلنا معناه أخطأ وضل ولم ينل مراده لأنه خالف، والعصيان خلاف الطاعة ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾[3] أى هداه للتوبة، وفقه لها.

فإن قيل: فهل يجوز إخراج الضيف من دار المضيف؟ فالجواب من وجوه أحدها نعم، إذا ترك الأدب وطمع فيما لايجوزله، والثانى: لأنه كان فى صُلبه الأنبياء والعلماء والأولياء، والجنة ليست بدار توالد والثالث: لولا نزوله ماتصاعدت صعداء الأنفاس ولانزلت رسائل هل من سائل؟.

خطيئة آدم: نسيان أم معصية ؟!

بينما نجد القرآن الكريم يصف مخالفة آدم تارة بأنها نسيان ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[4] نجده تارة أخرى يصفها بأنها عصيان وغواية ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾[5] فكيف نوفق بينهما؟

إن النسيان يقتضى أن أكله من الشجرة من باب الغفلة عما كلفه الله به دون أن يتعمد المخالفة، أو يتأثر بوسوسة إبليس، فهو سهو لا مدخل فيه لعمل الشيطان، فى حين أن قوله تعالى: ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾[6] يقتضى أن هذا الأكل

---

(١) طه: ١١٨.

(٢) طه: ١٢١.

(٣) طه: ١٢٢.

(٤) طه: ١١٥.

(٥) طه: ١٢١.

(٦) الأعراف: ٢٢.

ليس نسياناً تقياً بل هو معتمد وناشيء عن إغواء الشيطان، وإذا كان الأمر كذلك فكيف ساغ لنبي كريم أن يتأثر بوسوسته ويخالف أمر ربه عمداً؟

وللجواب عن ذلك.. نقول أن مافعله آدم كان عن نسيان كما دل عليه القرآن صراحة، في قوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ وليس استجابة متعمدة لوسوسة الشيطان.

نتبين ذلك جلياً من جميع النصوص الواردة في تحريم الشجرة، فكلها تشير إلى شجرة معينة بذاتها، ففي سورة البقرة يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾[1]، وفي سورة الأعراف أيضاً في الآية ١٩ مثل ذلك النص.

ولايوجد نص في كتاب الله يُفهم منه صراحة أن التحريم عام لجنس هذه الشجرة وليس خاص بها وحدها، ومع هذا بقي آدم وزوجه حواء ممتنعين عن تناول ثمر النوع كله مدة طويلة برغم وسوسة ابليس لهما، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ والنسيان لايكون إلا بعد مدة طويلة من التكليف والعمل به، والمراد به أنه نسي التحذير من خطورة الشيطان وعدوانه بنحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾[2] فخدع آدم بتغريره وتزيينه الأكل منها حتى يحظى بالخلود والمُلك الذي لا يبلى بنحو قوله تعالى: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾[3] وأقسم أنه ناصح لهما ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾[4] ولم يزل يخدعهما ويغرهما حتى أنزلهما

---

(١) البقرة : ٣٥، والأعراف : ١٩

(٢) طه : ١١٧

(٣) الأعراف : ٢٠.

(٤) الأعراف : ٢١.

عن الاستمساك بما أباح الله لهما ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾[1] إلى تجاوزه بالأكل من الشجرة المحرمة، فقد نفث في روعهما قائلاً: أن الله حرم عليكما شجرة بعينها مشيراً إليها بقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ فما بالكما تمتنعان عن النوع كله، فإنه لم يتناوله التحريم؟ وتكرر ذلك التزيين في أساليب شتى مدة طويلة حتى شوقه إلى معرفة أسرارها، والحصول على مزاياها، فأفتى نفسه بأن تحريم الشجرة المعينة لايمنع من أكل سواها من نوعها، فأكل من سواها، ظانا أن ماحدث اجتهاد نفسي وأن الشيطان بعيد عنه فيه، مع أنه كان في الحقيقة بإغرائه ووسوسته لأنه يجرى من ابن آدم مجرى الدم. وهو بهذا التأويل الضعيف الناشيء عن وسوسة الشيطان، قد فقد العزم والتصميم على ترك الشجرة بذاتها ونوعها، وتحول إلى تخصيص الترك بذاتها دون جنسها، وفقد العزم في الحذر من الشيطان، ولو أنه وجد منه عزم وتصميم على ماكان عليه من معاصاة الشيطان، لماحدث منه ما حدث، إذ لافرق بين الشجرة ونوعها عند التأمل.

وقيل معنى: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ لم نجد له تصميماً على الذنب، فإنه أخطأ في الإستدلال ولم يتعمد مخالفة النهى.

وأما قوله ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ فالعصيان فيه محمول على ارتكاب خلاف الأولى بمثله، والأحوط في الإمتثال، فإن الأولى به والأحوط له أن يفهم عموم التحريم لنوع الشجرة، لاخصوصيته بالمشار إليه، فجُعلت مخالفته للأولى عصياناً بالنسبة لمقامه الكريم، فإن الأمر قد يكون حسنة لشخص سيئة لشخص آخر فالصدقة بدرهم علي محتاج تعتبر حسنة إن كانت من رقيق الحال، وتعتبر سيئة من رجل واسع الثراء.

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن عبد الله المغربي قال: تفكر إبراهيم في شأن آدم عليه السلام، فقال: يارب خلقته بيدك، ونفخت فيه من

---

(١) الأعراف : ٢٢

روحك، وأسجدت له ملائكتك، ثم بذنب واحد ملأت أفواه الناس من ذكر معصيته، فأوحى الله تعالى إليه: يإبراهيم أما علمت أن مخالفة الحبيب على الحبيب شديدة وذكر بعض العلماء أن في استعظام ذلك منه زجراً بليغاً لأولاده عن أمثاله.

** قد يُقال: إن آدم قد علم عداوة الشيطان له، بإمتناعه عن السجود له، وادعائه أنه أفضل منه، لأنه خُلق من نار وآدم خُلق من طين، والنار في نظره أفضل من الطين، فلايجد الفاضل للمفضول، وإذا كان الأمر كذلك فكيف يُعقل أن الشيطان استطاع خداعه مع أنه يعلم بعدواته؟

والجواب: إن خديعته لآدم كانت عن طريق الوسوسة النفسية، فإن آدم لم يشعر أنها من جهة إبليس، بل ظن أنها حديث نفسي وإجتهاد فكري، وإن كانت خديعته مشافهة ومواجهة فإنها ليست بمستحيلة فكم من عدو يبدو لك في ثياب صديق ويعتذر لك آسفاً على مافرط منه في حقك، وتحت ضلوعه الداء الدوى، وقلبه مليء بالحقد والكراهية، والمؤمن غر كريم، والمنافق خب لئيم.

عِصْمة الأنبياء من المعاصي:

اختلفت الآراء في حدود عصمة الرسل من الذنوب، ومتى يجب اتصافهم بها؟ فقال الجمهور: إنهم معصومون من كبائر الذنوب وصغائرها بعد النبوة، لأنا أمرنا باتباعهم في أقوالهم وأفعالهم أمراً مطلقاً من غير التزام قرينة، فلو جوّزنا عليهم الصغائر لم يمكن الإقتداء بهم لعدم إمكان التمييز بين ماهو قربة وما هو ذنب من أفعالهم وأقوالهم، ولايصح أن يأخذ الله الناس بالأخذ عنهم، وهم لايدرون على التحقيق أن ما يأخذونه عنهم من قبيل الطاعة وليس من قبيل المعصية.

وكما تجب عصمتهم من جميع الذنوب بعد النبوة تجب قبلها فإن مقتضى اختيار الله لعبد من عباده ليكون نبياً أن ينشئه الله على أكرم الخلال وأفضل الأقوال والأفعال، حتى إذا شرّفه بالنبوة ودعا الناس إلى ربهم، اطمأنوا إليه، واستأنسوا بصلاح ماضيه، على صدقه في حاضره فآمنوا به، أما المنحرف في

نشأته عن سواء السبيل فما إلى تكذيبهم له والكفر به من بديل فكيف يبعث الله لعباده نبياً سيء السلوك مرفوضاً منهم، أرأيت إلى الحكومات حين توظف أحد رعاياها في عمل صغر أم كبر، فإنها تشترط في تعيينه أن يكون حسن السير والسلوك، فكيف لايكون ذلك شأن ملك الملوك في اختيار سفراءه ورسله لعباده؟

وقال بعض المعتزله: يجوز أن تحدث منهم الصغائر قبل النبوة لابعدها.

وقال بعض الفقهاء: يجوز أن تقع منهم الصغائر بعد النبوة وقبلها، أما الكبائر فلا بالإجماع. والأكثرون يرفضون وقوع الصغائر منهم بعد النبوة. وقال أبو اسحاق الاسفراييني: واختلفوا في الصغائر، والذي عليه الأكثر أن ذلك غير جائز عليهم وصار بعضهم إلى تجويزها ولاأصل لهذه المقالة: أي لادليل على صحتها يريد أن تجويز بعضهم للصغائر باطل.

وقال بعض المتأخرين ممن ذهب إلى تجويز وقوع الذنب منهم: الذي ينبغي أن يقال «أن الله تعالى قد أخبر بوقوع ذنوب من بعضهم، ونسبها إليهم، وعاتبهم عليها، وأخبروا بها عن نفوسهم وأشفقوا منها وتابوا عنها، وكل ذلك ورد في مواضع كثيرة، يقبل بعضها التأويل، ولايقبله بعضها الآخر وكل ذلك بما لايزري بمناصبهم، وإنما تلك الأمور التي وقعت منهم على جهة الندور. وعلى جهة الخطأ والنسيان أو تأويل دعا إلى ذلك، فهي بالنسبة إلى غيرهم حسنات، وفي حقهم سيئات بالنسبة إلى مناصبهم وعلوّ أقدارهم، إذ قد يؤاخذ الوزير بما يثاب عليه السايس، فأشفقوا من ذلك في موقف القيامة، مع علمهم بالأمن والأمان والسلامة ـ قال ـ وهذا هو الحق».

ومن ذلك قوله تعالى في حق نبينا محمد ﷺ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[1] فالذنب فيه محمول على مخالفة الأولى والأحوط بالنسبة له، كأخذه الفداء في أسارى بدر بدلاً من قتلهم، فهذا ليس معصية قطعاً بل هو حسنة، حيث أن عدداً كبيراً منهم أسلم بعد ذلك، ولكنه يعتبر خلاف الأولى،

(١) الفتح : ٢

لأن هذه أول معركة ينتصر فيها الإسلام على الشرك والمشركين، فكان الأولى قتل أسراهم الذين أذلوا المسلمين وأخرجوهم من ديارهم، فضلاً عن أنه أظهر في إبراز قوة المسلمين من أخذ الفداء من أولئك الأسرى، وأدعى لراحة المسلمين من مؤامراتهم، وفي ذلك يقول الله تعالى ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾[1].

ولايصح حمل الذنب في الرسول على المعصية والإثم فإنه لم يرد عنه ﷺ أنه ارتكب مايخالف شرع الله تعالى في شأن من شئونه، فقد كان أتقى الناس وأعلمهم بالله، فضلاً عن أن النبي يُشترط فيه العصمة من المآثم حتى يكون قدوة لامته، ويوثق بصدقه.

ولقد أحسن الجنيد حيث قال: حسنات الأبرار سيئات المقربين، فهم صلوات الله وسلامه عليهم وإن كانوا قد شهدت النصوص بوقوع ذنوب منهم، فلم يخل ذلك بمناصبهم، ولاقدح في رتبهم بل قد تلاقاهم وإجتباهم وهداهم ومدحهم وزكاهم وإختارهم وإصطفاهم[2] ومعنى تلافاهم: تداركهم بالعفو فزال به تقصيرهم.

والناظر في هذا الكلام بإمعان يجد أنه لافرق بينه وبين القول الأول الذي عليه الأكثرون، وهو تنزيههم عن المعاصي.

فإنه ذكر أن ذنوبهم التي عوقبوا بشأنها وأشفقوا منها كانت سيئات بالنسبة إليهم لرفعة مناصبهم، لكنها حسنات في حد ذاتها بالنسبة لمن هم دونهم، فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين. وقد كانت مخالفاتهم نادرة، وكانت إما من باب الخطأ أو النسيان أو حسن التأويل وأثر الإجتهاد. وعلى هذا فذنب آدم يعتبر من هذا الطراز.. وإذا كان الله تعالى يعيب على المؤمنين بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾[3].

---

(١) الأنفال: ٦٧.

(٢) القرطبي: جـ١ ص٣٠٩

(٣) الصف: ٢، ٣.

فكيف يعتقد أحد أن الرسول يخالف فعله قوله الذي يبلغه عن ربه؟

وصرح القاضي أبوبكر بن العربي: بعدم جواز نسبة العصيان للآباء الأقربين إلينا، المماثلين لنا، فكيف يجوز أن يُنسب إلى الأنبياء عليهم السلام؟[1].

فإنه يجب تنزيه الرسل وكل الأنبياء عن المعاصي لأنهم صفوة الله من خلقه، والأسوة الحسنة لهم في تنفيذ مأمر الله به أو نهى عنه.

ماهية الشجرة التي نُهيا عن الأكل منها:

اختلفوا في ذلك على أقوال[2]:

أحدها أنها شجرة البُر وهي الحنطة، قاله ابن عباس.. والثاني: شجرة الكافور، قاله علي رضي الله عنه والثالث: الكُرمة، قاله ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد، وحكاه ابن سعد عن جعدة بن هبيرة، قال: ولذلك جُعلت فتنة لولده، والرابع: التين، قاله عطاء والحسن وابن جريج، والخامس: النخلة، قاله أبو مالك: والسادس: حيّ العالم.. وقيل إنما هي بكسر العين وفتح اللام ـ وهي الحنطة بلغة قيس، وهوالأصح، لأن الحنطة ملائمة لجميع بني آدم. وقد نصّ على أنها الحنطة عامة العلماء. وقال وهب: هي شجرة الخلد وهو وهم لأن الله سماها بذلك وإنما الكلام في جنسها.

وقال الربيع بن أنس إنها كانت شجرة من أكل منها أحدث ولاينبغي أن يكون في الجنة حدث والأولى عدم تعيينها حيث أن الله تعالى لم يعينها وكذا الرسول ﷺ.

وقد ذكرها الله في التوارة فقال[3]: ونصب الله تعالى شجرة علم الخير والشر. أو شجرة الحياة، وسط الجنة، وقال: يا آدم كُل ماشئت إلا منها، فإنك تموت يوم تأكل منها. وقال الحسن البصري: لم يكن له بد أن يأكل منها لأنه خُلق للمقام في الأرض.

---

(١) راجع الآلوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾ سورة طه.

(٢) الصحاح: ١ / ٣٢٠.

(٣) سفر التكوين: ٢/ ١٥-١٧.

فإن قيل: بماذا عاقب الله آدم وحواء؟ قلنا: عاقب آدم بأشياء منها العتاب ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا﴾[1] والثانية: بإبداء السوءة ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾[2] والثالثة بإخراجهما من جواره ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾[3]، والرابعة بإظهاره العداوة له ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾[4]، والخامسة: بإلزامه اسم العصيان ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾[5]. والسادسة: بتسليط الشيطان على أولاده ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾[6]، والسابعة: بالهموم والأحزان، ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾ [البلد: ٤] أي في هم ونصب، والثامنة: بما لقي من المشقات، والتاسعة: بطول بكائه، والعاشرة: بحزنه على ولده هابيل.. وكذا عاقب المولى جلّ وعز حواء بخصال: أولها الحيض، فإنها لما تناولت من الشجرة قيل لها: تدمين في كل شهر، وبالنفاس والطلق والولادة، وترك الصلاة ونقصان العقل والميراث والشهادة والعدة والمنع عن الخروج، والبروز، وكونها عورة، ونقصان الدية، ولأنها لاتكون حاكماً بين الناس، ولا تسافر إلا بولي، ولاتنعقد بها الجمعة والجماعات وغيرها...

الحكمة في إبهام هذه الشجرة وتحريمها:

قال تعالى: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾﴾[7].

وكان هذا أول بيان لمنهج الله وهو الإختبار الأول لإرادة الإختيار التي أعطاها لآدم. فقد أباح لآدم نعماً كثيرة وسمح له أن يأكل من حيث شاء، ولكنه حرّم عليه شجرة واحدة ولم يذكر الحق نوع هذه الشجرة ولو كان في ذلك تشريع أو

---

(١) الأعراف: ٢٢.
(٢) طه: ١٢٢.
(٣، ٤) البقرة: ٣٦.
(٥) طه: ١٢١.
(٦) الإسراء: ٦٤.
(٧) الأعراف: ١٩.

فائدة تُجنى فى ذكر اسم هذه الشجرة ونوعها لذكره الله، كانت شجرة إختبار إرادة الإنسان فى افعل أو لاتفعل. وحتى لايتجه الناس إلى إلتماس حكمة تناسب نوعها، بل يتجهون إلى فهم أن الله تعالى أراد إختبار مقدرة آدم وحواء على احتمال المنع من بعض المشتهيات، وتمرينهما على الصبر وضبط النفس، فإن أحبَّ شيء إلى النفس ما منعت عنه بمقتضى جبلتها، وأن تحسين الشيطان لهذا الممنوع، يُغرى النفس به أكثر، فلهذا كان ذلك التحريم المفضى إلى المخالفة، ليفتح الله بها باب التوبة والتطهر من الإثم والعودة إلى النقاء النفسى ومرضاة الله، حتى تستقيم أمور بنى الإنسان بالمتاب كلما أخطأوا.

ويمكنك أن تعتبر النهى عن الأكل من الشجرة وماترتب عليه إجراءً تدريبياً لممارسة الطبيعة البشرية حياتها على سجيتها، ولتعرف ضوابط إصلاحها وصلاحها، فكل ذلك داخل تحت مشيئة الله تعالى وإرادته، ليتعرف البشر أسلوب حياتهم وماينبغى لهم أن يتركوه، وماينبغى لهم أن يفعلوه، إمتثالاً لتشريعات الله الذى يعرف ما فيه مصلحة عباده.

كما أن مزايا هذا الإمتحان: أن يعلم آدم وتعلم ذريته أن الله رحيم بعباده حيث يقبل توبتهم ويعفو عن سيئاتهم، فإنهم لم يُخلقوا بغرائز تدفع إلى الكمال وحده بل هى سلاح ذو حدين، تُستخدم فى الخير كما تُستخدم فى الشر، وقد أنعم الله عليهم بالعقل الذى هو النور الهادى إلى المراشد، وجعله مهيمناً على تلك الغرائز، فمن استضاء به عند استخدام غرائزه اهتدى ورشد، ومن أهمله ضل وغوى.

ولايترك الله عباده فى ضلالتهم إذا ضلوا، بل يفتح لهم باب اليقظة والتأمل، تارة بإرسال الرسل، وأخرى بصحوة العقل ونشاطه ليثوبوا إلى رشدهم، ويُصلحوا من حال أنفسهم.

تلك هى الحياة الدنيا، وذلك هو التكوين الإنسانى الذى يصلح لها، وقد أخبرنا الله على ألسنة رسله، أنه أعد داراً للجزاء يلقى فيها كل إمرىء جزاء ماعمله فى دار الإمتحان (الدنيا) ليحملهم التفكير فيها على إحسان العمل ونيل الثواب.

ثم ماذا حدث بعد أن أكل آدم وزوجته من الشجرة المحرّمة؟ إن الحق يشرح حقيقة ماحدث فيقول في محكم تنزيله: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾[1] فما أن أكلا من الشجرة المحرمة حتى بانت وظهرت سواءتهما، ثم أخذا يبحثان عن أوراق شجر الجنة كي يسترا به مابدا منهما ومأظهرته خطيئتهما. لقد انكشف عنهما ستار الإيمان والطاعة والذي كان يستر كل عورة وكل خطيئة لكن الشيطان دائماً يحاول ويهدف لتمزيق سياج الإيمان الذي يحمي الإنسان ويحفظ عوراته من الظهور. إنه درس عظيم لبني البشر يجب أن يذكرهم دائماً أن كل أفعال الشيطان هي كشف لعورات الجسد البشري، وتعرية لسوءات النفس وهواها، وجل هم الشيطان وهدفه كشف الإنسان وتعريته من كل ستر إيماني يقي الإنسان ويحميه ضد وساوس الشيطان.

والشيطان لايقعد عن نبش حصون النفس الإيمانية يريد أن يزلزل من تحتها الأركان كي تنهار وتتداعى وتهوى مع كل معصية يقع فيها الإنسان وقانا الله شره.

---

(١) الأعراف: ٢٢.

المبحث الثانى

أول دعاء بشرى

كلمات لآدم:

قال الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾[1] قال ابن عباس: معنى تلقى تلقن وحفظ وفهم.. فتلقين الله آدم التوبة رحمة عظمى أسداها لأبى البشر عليه السلام.

وقصة آدم هى قصة البشرية فى كل آن ومكان.. من الوجود إلى النهاية.. من الأزل والقدم إلي الفناء والعدم.. هى معصية وندم.. زلل واستغفار.. خطأ وتوبة!!

وكما مرّ بنا.. أمر إلهى لآدم وزوجه بأن يسكنا الجنة، ويتمتعا بمافيها.

ومعه نهى إلهى لهما عن الإقتراب من شجرة معينة فيها..

وجمحت النفس البشرية فانحرفت.. وعصت تعاليم المولى فى لحظة من لحظات الضعف البشرى التى ناصرها الشيطان وأججها وقواها..

فكانت المعصية بالإقتراب من الشجرة وإقتراف الذنب فأخرجهما الله مما كانا فيه.. من نعيم حسى ومعنوى.. إلى نعيم أرضى هابط.. وهبطت منزلتهما بالعصيان والغواية..

عصى آدم ربه فغوى.. ثم إجتباه فتاب عليه وهدى.. تلقى آدم من ربه كلمات.. فتاب عليه.. وغفر له.. وهداه إلى الرسالة.

كلمات هى دعوات ألهمه الله إياها فأناب إليه بها وهى كما قال مجاهد وقتادة والثعلبى وعبد بن حميد، وابن أبى حاتم وابن المنذر وابن جرير والبيهقى والحسن والضحاك ومحمد بن كعب القرظى.. وقد رفع الكثير من هؤلاء الخبر

---

(١) البقرة: ٣٧.

إلى ابن عباس بأنه القائل بأن هذه الكلمات هي كما في سورة الأعراف: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[1].

تاب آدم بذلك وأناب إلى ربه فتاب عليه.

كلمات أهلته للصفو، والصفح، والعفو، والعودة إلى رحاب الله.

دعوات هي لون من ألوان الإعداد والتأهيل وشحذ الطاقة لتخلص وتتقبل وحي الله.

ولتجلو لاستقبال أوامر الله، والتقاط إلهاماته.

كلمات هي ذكر يزيل ماران على الوجدان، ويذيب الغشاوات التي تعلو صفحة الفؤاد، ويجتث من القلب شرايين الغلظة والجفوة والقسوة فإذا هو معدٌ لتقبل الإيحاءات.

أدعية هي أوعية الغفران.

أدعية وكلمات كما أمدت روح أب البشر آدم بإشراقات وإشعاعات للتوبة، أعدته لتلقي الرسالة وتحمل أعبائها.

ما اشتمل عليه دعاء آدم وحواء:

ونأتي إلى تفصيل ماأجملناه، فنتعرض سوياً مااشتمل عليه دعاء آدم وحواء ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ الآية.

اشتمل هذا الدعاء على أربعة أمور هي:

١- الإعتراف بالذنب:

لقد اعترف آدم وحواء بالذنب لأكلهما من الشجرة التي نُهيا عن الأكل منها، وأدركا أن فعل مانهى الله عنه ذنب ينبغي الإقلاع عنه، والرجوع إلي الله..

---

(١) الأعراف: ٢٣.

ولقد حمل نداء الله لهما من التقريع والتوبيخ مافيه، ولعله سبق تمهيداً وتعليلاً لنيل جزائهما بالإخراج من الجنة.

هذا العتاب الإلهي القرآني يعضّده التأنيب الإلهي الأثري الوارد عن ابن عباس وغيره فقد قال ابن جرير فيما يرويه عنه: لما أكل آدم من الشجرة قيل له لم أكلت من الشجرة التي نهيتك عنها؟ قال: حواء أمرتني!

قال فإني أعقبتها أن لاتحمل إلا كرهاً، ولا تضع إلا كَرْهاً.. قال فرنت عن ذلك حواء فقيل لها الرنة[1] عليك وعلى ولدك..

وروى قتادة عن الحسن عن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: كان آدم رجلاً طوالاً كأنه نخلة سحوق كثير شعر الرأس، فلما وقع فيما وقع فيه من الخطيئة بدت له عورته عند ذلك،وكان لايراها، فانطلق هارباً في الجنة فتعلقت برأسه شجرة من شجر الجنة، فقال لها أرسليني فقالت: إني غير مرسلتك، فناداه ربه عز وجل ياآدم! أمني تفر؟ قل: يارب إني إستحييتك.

وفي رواية عن ابن عباس: قال الله: أما كان لك فيما منحتك من الجنة وأبحتك منها مندوحة عما حرمت عليك، قال: بلى ولكن وعزتك ما حسبت أن أحداً يحلف بك كاذباً، وهو قول الله عز وجل: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ قال الله: فبعزتي لأهبطنك إلى الأرض ثم لاتنال العيش إلا كداً. قال فأهبط من الجنة وكانا يأكلان منها رغداً، فأهبط إلى غير رغد من طعام وشراب فعلم صنعه الحديد، وأمر بالحرث فحرث وزرع ثم سقى حتي بلغ حصد ثم داسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزه ثم أكله فلم يبلغه حتى بلغ ماشاء الله أن يبلغ.

فقول آدم وحواء ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ فضلاً عن كونه اعترافاً بالذنب فهو من أدب النبوة حيث لم يقولا: لقد قدّرت ذلك علينا ربنا وقضيته فلماذا تؤاخذنا

---

(١) الرنة: الصرخة.

عليه وتطردنا من الجنة؟.. لم يقولا ذلك لإستشعارهما بالنعم التى أفاض الله بها عليهما حيث خلقهما وأسجد لهما الملائكة، وطرد ابليس ولعنه لإمتناعه عن السجود لآدم، ثم أسكنهما الجنة وقال لهما كلا منها أكلاً رغداً هنيئاً من كل أشجارها، غير أنكما لاتقربا هذه الشجرة وعينها لهما.. فكل هذه النعم استحضرها آدم وزوجه حواء حينما أكلا من الشجرة التى نُهيا عن الأكل منها.. فعظم فى أعينهما هذا الفعل وعدم استجابتهما لنهى الله تعالى لذلك كله سارعا إلى الإعتراف بالذنب، واعتبرا ذلك مجاوزة منهما للحد الذى عيّنه الله لهما، ﴿قالا ربَّنا ظلمنَا أنفسَنا﴾ دون أن نُظلم، وأتيا بلفظ الربوبية الد على الخلق والإنعام والتربية والإحسان إستعطافاً لما يرجوان تحقيقه من طلب المغفرة والرحمة، والإعتراف بالذنب كما يقولون فضيلة.

٢- طلب المغفرة:

طلب آدم وحواء ستر وتغطية مارتكباه من ذنب وهذا أمر واجب علي المسلم فوراً إذا وقع في شيء يغضب الله تعالى.. وطلبهم المغفرة هذا ساقوه علي صورة الجزم والتحقيق وهذا مايفيده الشرط حيث قالوا: ﴿وإن لَمْ تغفرْ لنا وترحمنا لنكونَنّ من الخاسرين﴾[1] فعلقوا نجاتهم وتجنيبهم الخسران على المغفرة فإن كانت نجوا، وإلا هلكوا وخسروا، وهذا أبلغ من طلبهم المغفرة صراحة أى من غير شرط..

٣- طلب الرحمة:

فبعد أن طلبوا التخلية من المسئولية والمؤاخذة والعقاب طلبوا التحلية وهى الرحمة التى هى شمول الله العبد بفيوضات العطف والشفقة والحنان إذ الرحمة جامعة لكل مايجلب للمرء من الخير والسعادة والرفاهية.

٤- تجنب الخسران والهلاك:

ومن حُسن أدبهما وعظيم حيائهما أنهما ما قالا: «اغفر لنا ذلتنا وامنحنا رحمتك» ولكنهما ساقا ذلك فى أسلوب الشرط المتضمن للفعل والجزاء، ولم

---

(١) الأعراف: ٢٣.

يجرياه على الصورة المعتادة وهي اغفر لنا وارحمنا لنكونا من الناجين الفائزين، بل أتيا به في صورة تفيد الجزم واليقين كما تفيد رغبتهم الصادقة في شمول المغفرة والرحمة الإلهية لهما على وجه السرعة والتأكيد حيث قصروا نجاتهم وفوزهم على مغفرة الله لهم، ورحمته بهم، وفي هذا التعبير مافيه من البلاغة والحياء وحُسن الأداء مافيه، كما أننا نلاحظ أن هذا الترتيب مع إنتقاء الألفاظ قد جاء في أقوى أسلوب وأدق تنظيم، وأجمل عرض حيث اختار آدم لفظ «الظلم»، و «المغفرة»، و «الرحمة»، والخسران، ورتبهما ترتيباً بديعاً فقدم ماحقه التقديم وهو الإعتراف بالذنب واعتبره ظلماً قد جاوز به الحد وذلك هضماً لنفسه، واستعظاماً لما يدر منه، ثم ثنى بطلب المغفرة إذ الذنب المعترف به في حاجة ماسة ملحّة إلى تغطيته وستره ومحوه ثم تلى ذلك بطلب الرحمة طمعاً فيما عند الله حيث وسعت رحمته كل شيء، وحذف مفعولها لتعم وتشمل، ثم ساق هذين الطلبين «المغفرة والرحمة» في صورة الشرط والجزاء، وجعل الخسران والهلاك لاحق به وبزوجه إذا لم يستجب لهما ربهما طلبهما هذين «المغفرة والرحمة» فقالا: ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1]. وجعل جواب الشرط مؤكداً باللام والنون مما يفيد ثبوت الخسران لهما إن لم يدركهما ربهما بعظيم مغفرته وواسع رحمته، وأي خسران أعظم من خسران ناتج من ذنب لم يغفره الله ولم يشمل صاحبه بالرحمة.

وقبل الإنتهاء من هذا الدعاء الأبوي الرحيم لنا أن نتساءل:

هل ثبت لسيدنا آدم أدعية أخرى غير هذا الدعاء؟

- لم يرد في القرآن الكريم دعاء لآدم وحواء سوى ماأوردناه في سورة الأعراف

- أما في غير القرآن الكريم فقد وردت عدة أدعية لآدم عن طريق الأثر. نذكرها بسندها.

---

(١) الأعراف: ٢٣.

جاء فى تفسير الرازى عن الكلمات التى قالها آدم:

قال سعيد بن جبير فيما يرويه عن ابن عباس رضى الله عنهم أنها قوله: لاإله إلاأنت سبحانك وبحمدك عملت سوءاً أوظلمت نفسى فاغفرلى إنك خير الغافرين، لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءا و ظلمت نفسى فارحمنى إنك خير الراحمين، لاإله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسى، فتب علىّ إنك أنت التواب الرحيم.

- وقالت السيدة عائشة رضى الله عنها:

لما أراد الله تعالى أن يتوب على آدم طاف بالبيت سبعاً، والبيت يومئذ ربوة حمراء، فصلى ركعتين واستقبل البيت، وتوجه إلى الله بالدعاء فقال: «اللهم إنك تعلم سرّى وعلانيتى فاقبل معذرتى، وتعلم حاجتى فاعطنى سؤلى، وتعلم ماقى نفسى فاغفر ذنوبى. اللهم إنى أسألك إيماناً يباشر قلبى، ويقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لايصيبنى إلا ماكتبت لى، وأرض بماقسمت لى» فأوحى الله تعالى إلى آدم: ياآدم قد غفرت لك ذنبك ولن يأتينى أحد من ذريتك فيدعونى بهذا الدعاء الذى دعوتنى به إلا غفرت ذنبه وكشفت همومه وغمومه، ونزعت الفقر من بين عينيه، وجاءته الدنيا وهو لايريدها.

- وقال النخعى آتيت ابن عباس فقلت له:

ما الكلمات التى تلقاها آدم عن ربه؟ قال: علّم الله آدم وحواء أمر الحج فحجا، وهى الكلمات التى تُقال فى الحج، فلما فرغا من الحج أوحى الله تعالى إليهما أنى قبلت توبتكما. (الرازى)

- وروى ابن أبى الدنيا بإسناده عن وهب بن منبه قال:

أقام آدم على حاله زماناً فاطلع الله عليه فرآه حزيناً كئيباً، فأوحى إليه: ماالذى بك؟ فقال: إلهى عظُمت مصيبتى، وأحاطت بى خطيئتى، وأخرجت من ملكوت السماء، فأصبحت فى دار الهوان بعد الكرامة، والشقاء بعد السعادة، والنصب

بعد الخفض والدعة، والظعن بعد القرار والطمأنينة، ودار الذل بعد العز. فقال الله: ألم أصطنعك لنفسي وأُحلك دار كرامتي، وأُسجد لك ملائكتي ونفخت فيك من روحي، فعصيت أمري، وضيعت عهدي، وخالفت وصيتي، ولم تشكر نعمتي .. وعزتي وجلالي لوملأت الأرض رجالاً مثلك يسبحون الليل والنهار لايفترون ثم عصوني لأنزلتهم منازل العاصين.. وإني قد رحمت ضعفك وتضرعك، وأقلتك عثرتك، وقبلت توبتك، فغفرت لك زلتك.. فألهمه الله أن قال: سبحانك إني كنت من الظالمين. قال وهب: فذلك قوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[1].

- وقال الحسن[2] رضي الله عنه أن آدم قال: يارب ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلى، قال: ألم تنفخ في من روحك؟ قال: بلى، قال: ألم تسكني جنتك؟ قال، بلى، قال: فلم أخرجتني منها؟ قال: بشؤم معصيتك، قال: يارب أرأيت إن تبت ورجعت أراجعي أنت إليها؟ قال: نعم، فتاب عليه.

- وقيل[3] إن آدم سأل الله تعالى عن حقيقة ذنبه فقال: يارب هذا الذنب الذي أصبته كان من قبل نفسي أو من شيء سبق في علمك قبل أن تخلقني قضيته عليّ؟ فقال: بل شيء في علمي كتبته عليك، قال: يارب فكما قضيته عليّ فاغفر لي، فتاب عليه.

ثمرة دعاء آدم عليه السلام

لقد استجاب الله تعالى لدعاء آدم، فقبل توبته، وغفر له ذنبه، وشمله برحمته وجنبه الهلاك والخسران في الدارين، يشيرإلى ذلك قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ وقوله تعالى ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾.

---

(١) البقرة: ٣٧

(٢) تفسير الطبري: ١ / ٥٤٢، وتاريخ الطبري: ١ / ١٣٢، والثعلبي. ٣٥.

(٣) من كتاب قوت القلوب في معاملة المحبوب: ص ٤٤٢.

وان استجابة الله إستغاثة آدم وتلقينه صيغة التوبة وهذا الدعاءلدليل ظاهر ومؤشر صحيح إلى القول بأن هذا الدعاء من الأدعية المستجابة وكيف لايكون كذلك والحال أن آدم لم يطلب من ربه شيئاً من متع الدنيا والآخرة بعد اعترافه بالذنب إلا أن يكون الله له ساتراً لأمره رحيماً بشأنه فهو في الحقيقة يطلب مرضاة الله التي لاينبغي لامرىء أن ينشد سواها فهذا الدعاء جدير بأن يسمى دعاء الثناء وكان آدم يقول يارب لاغافر سواك ولارحيم إلا إياك..

ـ الإستنتاجات التي يمكن أخذها من دعاء آدم عليه السلام:

١- يجب الاعتراف بالخطأ فور وقوعه وهو إن دل على شيء فإنما يدل على حسن خلق صاحبه وصدقه وأمانته..

٢- الأجدى والأنفع أن يصارع المخطىء بالاعتراف خشية فوات الفرصة بالموت أو عدم التوفيق.

٣- ينبغي على المذنب أن ينظر إلى ذنبه (ولو كان تافهاً) على أنه جرم عظيم وبخاصة في جانب الحق تعالى.

٤- طلب مغفرة الذنب بالصيغة الدالة على استعظام المذنب واستصغاره له بجانب مغفرة الله أمر ممدوح...

٥- تصدير الإستغاثات بالألفاظ المسعفة للإجابة كلفظ الرب أمر مطلوب ومستحسن.

٦- لابد للمخطىء أن يكون موقناً بأنه لاغافر لذنبه إلا الله ولهذا لاينبغي له الاكتفاء بطلب المغفرة فقط بل لابد أن يكون أعظم طمعاً في مجاوزتها إلى طلب رحمات الله...

٧- إعلان العبد صراحة بأنه إذا لم يغفر له ربه ويرحمه سيكون ممن خسروا الدنيا والآخرة وهذا من صدق توحيده وقوة إيمانه ويقينه..

٨- تلقين الله آدم هذا الدعاء دليل على حب الله لمناجاة عباده له كما أنه دليل رحمته بخلقه.

٩- تلقين الله آدم هذا الدعاء يلفت نظر العبد إلى ضرورة مزاولته عند الحاجة لأنه من الأدعية المستجابة.

١٠- يفيد هذا الدعاء أن من أعظم خسران المرء حرمانه من مغفرة ربه ورحمته.

١١- لما لم يستغن آدم عليه السلام وهو رسول الله عن التوبة مع علو شأنه فنحن أولى بذلك.

١٢- إن ماظهر من آدم عليه السلام من البكاء على زلته تنبيه لنا لأن نكون أحق بالبكاء منه، فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لوجمع بكاء أهل الدنيا إلى بكاء داود لكان بكاء داود أكثر، ولوجمع بكاء داود إلى بكاء نوح لكان بكاء نوح أكثر، ولو جمع بكاء أهل الدنيا وبكاء داود وبكاء نوح عليهما السلام إلى بكاء آدم على خطيئته لكان بكاء آدم أكثر». (الرازى).

١٣- يفيد هذا الدعاء أنه لابد للعبد أن يكون مشتغلاً بالتوبة في كل حين وآن كما يدعم ذلك الأحاديث والآثار الدالة والحاثة على ذلك منها:

(أ) مارواه أبو بكر الصديق رضى الله عنه حيث قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يصرّ من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة».

(ب) ومنها مارواه ابن عباس عن النبى ﷺ: «توبوا إلى ربكم فإنى أتوب إليه فى كل يوم مائة مرة».

(جـ) وقال عليه الصلاة والسلام: «أنه ليغان على قلبى فأستغفر الله فى اليوم مائة مرة». (الرازى)